

دور أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في ترسيخ القيم الدينية بزرع بذور التغيير ومقاومة الاحتلال بالمغرب العربي

The role of the ideas of Jamal al-Din al-Afghani and Mohammed
Abdo in establishing religious values by sowing the seeds of
change and resisting occupation in the Maghreb

صباح عبيد

جامعة محمد خيضر بسكرة
s.abid@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2020/12/07

تاريخ الاستلام: 2020/08/17

ملخص:

ساهمت الصحوة الإسلامية في توليد طاقة من التجديد الفكري ونشر
تعاليم الدين على يد تيارات وشخصيات رسخوا أفكارهم الدعوية نهضة فكرية
إسلامية. وحاولوا القضاء على غمام العيون والرجوع إلى تعاليم الدين لبناء
مجتمع رصين مرتبط بدينه، فمن هذه الشخصيات نجد جمال الدين الأفغاني
ومحمد عبده اللذان رسما طريقا لبناء صرح من الأفكار التي تبناها المؤرخون
والباحثون في مسارهم البحثي والتحليلي في حين انتشروا لتعم العالم العربي
الإسلامي حين استهدفت المجتمعات العربية والإسلامية لتشكل منها طبقات من
النخب الدينية هذا من جهة. وزرعت روحا للجهاد ضد رياح التغريب
الاستعماري في منطقة المغرب العربي من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: الصحوة، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، النخب، الاستعمار.
Abstract:

The Islamic Awakening contributed to generating energy from
intellectual renewal and spreading the teachings of religion by currents
and personalities who established their ideas of an Islamic intellectual
renaissance. They tried to eliminate the cloud of eyes and refer to the
teachings of religion to build a solid society linked to his religion, from
these figures we find Jamal al-Din al-Afghani and Mohammed Abdo,

who drew a way to build an edifice of ideas adopted by historians and researchers in their research and analytical path while spreading to the Arab-Islamic world when they targeted Arab and Islamic societies to form classes of religious elites on the one hand. On the other hand, it has cultivated a spirit of jihad against the winds of colonial alienation in the Maghreb region.

Keywords: awakening; Jamal al-Din al-Afghani; Muhammad Abdo; elites; westernization; colonialism.

1. مقدمة:

ظهرت في أنحاء العالم حركات مذهبية حاولت الانفلات من قيود عصور الظلام والنهوض بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للعالم الاسلامي نتيجة تفشي أفكار تحررية وأخرى دينية توعوية تنادي بالتحرك للتغيير الإيجابي, فمن بين الشخصيات كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن هنا يمكن طرح الاشكال التالي :

- كيف كان صدى أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في زرع الصحوۃ الاسلامية في نفوس المسلمين ومحاولة التغيير والإصلاح في ظل الأوضاع الراهنة للمغرب العربي ؟

للإجابة على هذا التساؤل اعتمدت المنهجين الوصفي التحليلي للتطرق لمضمون الدراسة بهدف معرفة الفكر الإصلاحی الذي نال مكانة راقية من القدر والانتشار وهو هدفنا الدراسة .

2. قراءة حول تأثير الصحوۃ الاسلامية في مد محاولات الإصلاح الاجتماعي :

1.2 وتيرة الصحوۃ الدينية على فئة النخب العربية :

فوجود الصحوّة الإسلامية على أنه تجسيد لخلود رسالة الإسلام فإله سبحانه جعل الإسلام خاتم الأديان، ورسالة نبينا الوريث لكلالرسالاتالسموية السابقة . ولهذا فإن لها دورا مستمرا في إرشاد البشرية إلى أن يرثالله الأرض ومن عليها، وإن ذلك يتطلب بقاؤها حية في النفوس والعقول وفاعلة فيالواقع والسلوك.يمكن القول دون مبالغة أن كثيرا من علماء الأمة ومفكرها يشعرون بأن المسلمين يعيشون في أزمة خانقة، وحين جرى احتكاك قوى بين المسلمينوبيناالأوربيينمنخلالالبعثاتالدراسية ومنخلالالتجارة والاستعمار أدركت أعداد كبيرة من الناس أن ما نعاني منه هو أكبر من أزمة، بل هو تخلف حضاريمخيف . وهذا النقاش وصل فيما بعد إلى ما يشبه التنافس بلالصراع، ومن المؤلف جدا أن يتمخض الصراع عن هزائم وانتصارات،وقد كانت الصحوّة الإسلامية تعبيراً عن انحياز أعداد كبيرة من المسلمين إلى الإسلاموالرؤية الإسلامية في التنمية والازدهار، فالصحوّة الإسلامية على هذا هي وليدة صراعيين تيارات فكرية متباينة.¹

يربعضالباحثينأنالصحوّة الإسلاميةنشأتفيمحاضنيمكنأننسميهاالمحاضنا لنهضوية أين كانت بداياتالحركةالإصلاحيةالحديثةو بدألتالدعوةإلىالاستفادةمنعلومالغربالكونيةومنظمهاالسياسيةإلىالجانبالدعوةإلىالخلاصمنالتقليدوالعملعلتنميةوحالاتجهدوالتجديدالفقهي،ويرتؤونإلى أنها ولدت

أفكارلعددمناعلامالإصلاح،كمامهدتالطريقلبروزفجرالصحوّة الإسلامية،ويذكرونفیهذاالسياق مجموعة من أعلامها منهم : الشيخمحمدبنعبدالوهاب،والشيخحسنالخطار،ورفاعهالطهطاوييتلميذالخطار،بالإضافةإلىخيرالدينالتونسي،وجمالالدينالأفغاني،ومحمدعبده،ومحمدشيدرضاء،والكواكبي،وحسنالبناء،وابنباديسوماالكبنبي،وغيرهم...وحيثنتأملفيذكر هؤلاء وجهودهمالإصلاحية.لكنكانفيمعتقداتبعضهموطرحاتهمبلسلوحياتهماللاينسجممعأحكامالشريعةالغراءوأدبياتها، فهي علامةفارقةفيمسيرتهاذلك أن العالم الإسلامي لم يخلط بين الدعاة المصلحين وبين مجموعات تدعو إلى الخير وتحاولمحاصرة الشر.وفي هذا الإطار يمكن القول: 'أن عقد

السبعينيات من القرن الميلادي المنصرم هو الذيشهد بواكير الصحوة الإسلامية المعاصرة.²

2.2 صدى أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية :

اهتم رواد النهضة العربية الإسلامية، بالنهضة منذ ما يزيد عن القرن، ولكن الأمة لا تزدد عللها وتعيش في خصام مع ذاتها بل مع نواتها . وتعيش في صراع مستمر بن مكوماتها. فليس هناك أمة استعذبت الفشل والخسارة وأدمنت على ذلك كالعرب، فهناك أمم قد بدأت نهضتها بعد أن بدأها العرب بفترة طويلة وأصاب من القوة والتقدم الصناعي والتكنولوجي والعلمي، فواقع النخب الحديثة في العالم العربي والإسلامي ومعيار المعرفة اليقينية يقارب أو يطابق بين هذه المعرفة والمعرفة الغربية إلى درجة أنه أصبحت الشهادة الغربية والمعرفة الغربية هي أساس التنافس بين الباحثين والمفكرين و المكانة والمركز في الحصول على السلطة والسلطة المعرفية والثقافية. بل إن النخب تلقت ثقافتها من الجامعات الغربية مباشرة أو من جامعات عربية تعمل بنفس مناهج وأساليب الجامعات الغربية، فهيقطعت صلاتها بالثقافة العربية وتراثها، فالمصلحون من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر وسيد أحمد خان في الهند وعلال الفاسي في المغرب وأفضل الأفكار الغربية جادلوا في ملائمة الإسلام مع العلوم الحديثة وبشروا بالحاجة إلى قبول تركيبة إسلامية مختارة وقبول الأفكار الغربية الحديثة، وسعوا لإيجاد إسلام يعتمد على العقل في التعليم الشرعي لإحياء وإصلاح³ المجتمع .⁴

هناك من اعتبر أن الصحوة الإسلامية نشأت بوصفها رد فعل على إخفاقات خطط التنمية وانتشار الفساد وضعف كفاءة ونزاهة القضاء وتواضع المخرجات التعليمية ... وهذا في نظر ليس بعيداً عن الصواب، ولا سيما إذا تذكرنا أن الصحوة في انطلاقتها الأولى كانت تستلهم بقوة النجاحات التي حققتها الحضارة الإسلامية على أيدي قياداتها السياسية والعلمية

ميتو العسكرية الفذة، وكان الهدف غير المعلن هو إيصال رسالة قوية إلى المسلمين عصرنا تقو
ل

إننا كما حققنا بالإسلام إنجازات ضخمة في الماضي، فإننا قادر ونعلتكرار التجربة في
الحاضر، وهذا النوع من الخطاب مؤثر ولا شك في إلهاب العواطف وحسم
الخيارات لدينا سببا ربما كان أقوى من كل الأسباب التي ذكرناها، وهو
انتشار العلم وتوافر المدارس والجامعات والمعاهد. والإسلام بنية حضارية
راقية، و التفاعل مع أطره ورمزياته وإشاراته... يحتاج إلى أن يكون
لدالمنتسبين إليه قدر حسن من العلم وقدر جيد من الوعي وعلى مدار
التاريخ كان الإقبال على التمسك بتعاليم الدين القويم وهناك من يفسر ولادة
الصحة بتفسيرات أراها بعيدة عن الواقع.⁵

وفي كتابات بعض الباحثين مثل محمود أمين العالم أن الظاهرة الإسلامية هي
أيدلوجية ريفية في عالم المدن. فهو لاء الشباب يقصد شبابا لصحة من أصول ريفية فقيرة،
ممنزحوا إلى عالم المدن من أجل العلم والبحث عن عمل
وهذا التفسير عموما موجود لداليسار بينول هذا فالصحة هي نتيجة صراعالقريتهوال
دينة، وفي هذا حطمنشأنالبريف، وحطأيضامنقدر الإسلام، حيث يتضمن هذا التحليل
عامنالصحة : tالمصطلحوأسبابالنشأةأو
التعريف بالإسلام أنه دين للبدو والجهلة مع أننا نعرف أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
نوا من أبناء الأمصار، وليس البوادي والقرى الصغرى والصحة
الإسلامية في نظر بعضهم هي انعكاس لتخلف الثقافة العربية ذات البنية البيانية الخرافية، وه
ميزهونالماهو أكثر منه ذلك أنالعر بغير قادر ينتمثل
الحضارة والحداثة لأنهم لم ينجحوا، ولنينجحوا في التخليعنا لإسلام، مما يجعلنا نخر
طهم في تيار المدنية الغربية الجار فغير ممكن مناقشته.⁶

3 أهداف الفكر الاصلاحى في العالم العربى :

1.3 جهود رواده في توحيد الفكر الاصلاحى ::

لقد كان إصلاح الفكر الإسلامى هدفاً واضحاً جلياً عند القائمين على هذا المعهد ومدخ
لالنهضة كما يبدو في هذا السفر، وفي أسفار أخر بمماثلة، منها على سبيل المثال كتاب أزمنة

عقلا لمسلم للدكتور عبد الحميد أبو الإسلامي يتردد عند الكثير من الأعلام المنشغلين بهذا الشأن، يعززه في قناعة العقول ما وقف عليه هؤلاء عند ثقافة الغرب وحضارته وقد درسوها بالنظر والمعاشية لما لمناهج التفكير من أهمية كبرى في التنمية الحضارية، حتى تجمع ذلك كله في تيار إصلاحي عام، يقوم على إصلاح الفكر كمدخل للنهضة الإسلامية وشكل ذلك مسار مؤسسة ذات هياكل وأهداف وخطط وبرامج، وتلك هي مؤسسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ويُعتبر كتاب إصلاح الفكر الإسلامي للدكتور طه جابر العلواني أحد أهم الأدبيات التي تشرح أهداف هذا المعهد وبرامجه وخطته، دائرة كلها حول محور أساسي هو محور إصلاح الفكر الإسلامي لقد كان إصلاح الفكر الإسلامي مدخلا للنهضة هدفاً واضحاً جلياً عند القائمين على هذا المعهد بوضعا لانحدار الحضاري، والنهضة من هذه الكبوة لاستئناف الفعل الحضاري الإسلامي رهينة في الشطر الأكبر من العملية إصلاح كبرى تجرى على منهجية العقل الإسلامي في التفكير.⁷ حيث يؤرخ لبدء العصر الحديث في تاريخ الشرق الإسلامي وصول الشعوب الشرقية إلى دور اليقظة، باعتباره خروجاً من العصر (الوسيط) وبداية للعصر الحديث بذلك يقترب العصر الحديث، في رأي بعض المؤرخين، ببدء ظهور صلاح الدين الذي كانت طلائعه في المشرق، من الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، ثم اتجاه التجديد في الهند، ثم حركة الإصلاح الديني في مصر على يد جمال الدين الأفغاني، وما تفرع عنها في الأقطار الإسلامية الأخرى شرقاً وغرباً وبذلك يرتبط العصر الحديث للأمة الإسلامية، في رأي أحمد شلبي، بالنهضة الفكرية الإسلامية الحديثة التي بدأت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبالرغم من ذلك تزامن هذا الهبوط مع تنامي النهضة الفكرية الإسلامية، حيث شكلت تيارات الفكر الإسلامي أبرز الاتجاهات الف وأهمها في هذه المرحلة، واستطاعت استقطاب المفكرين من التيارات الأخرى بظواهر التغيير الاجتماعي

حظيت باهتمام واسع في التراث السوسيولوجي الحديث والمعاصر، حيث قدمت نماذج نظرية عديدة لفهم التغيير الاجتماعي اختلفت هذه النماذج النظرية فيما بينها حول مسائل تتعلق ببطبيعة التغيير الاجتماعي.⁸ وبهذا تشير عملية إصلاح اجتماعي الفكر الإسلامي إلى

غير العناصر الفاسدة السائدة في المجتمع، مع الإبقاء على جو انبساطية المجتمع، ثم
ميعقها عملية آخر بتنمية هــ ذها لجوانبها
وبذلك تدخل عملية الإصلاح والتنمية في التغيير الاجتماعي للتأكيد على التغييرات الوظيفية و
البنائية بصورة إيجابية في ضوء ما سبق عرضها يمكن تعريف التغيير الاجتماعي بأنه
تحويلات ظاهرة وجودية في البناء الاجتماعي الثقافي تحدث بين مرحلتين علميتين من محدد
في شكل سلسلة متصلة من العمليات المتسلسلة، ثمرة،
شكلت قضية التغيير الاجتماعي أحد أهم المشكلات التي تواجهها الدولة الأساسية في منتصف
القرن التاسع عشر، وظهرت المحاولات المبكرة في التحليل الاجتماعي عيبتا فتعوضت بضموم جيتيد
عظيمتين من التغيير اكتسبتا أوروبا
التصنيع، والتوسع في الديمقراطية وحقوق الإنسان فاقبال الثورات الفرنسية والأمير
كية، وبرزت ثلاث نظريات أساسية في تعريف العلم الاجتماعي: النظرية الأولى أو غسكونت
August Conte حول الديناميكية الاجتماعية، والنظرية الثانية لهربرت سبنسر
Herbert Spencer التي عرض فيها فكرة التغيير التطوري.⁹

2.3 تعالي معنى أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في المشرق :

يشير كثير من الباحثين إلى أن بداية الحركة الفكرية الإسلامية في
العالم الإسلامي ليست على أيدي جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بل إن
الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان رائد الحركة الإسلامية منذ القرن 18م،
وأن الأفغاني وعبده ومحمد رشيد رضا استمدوا منه النواحي المهمة في
بناء تفكيرهم الإصلاحية، فلو أخذنا الشيخ محمد فإننا نجد أن دعوته
الإصلاحية قامت على أساس العودة بالإسلام على ما كان عليه في العصور
الأولى من تجديد واجتهاد وثانياً النهوض باللغة العربية وإحيائها، وثالثاً
باحترام حقوق الشعوب وتخليصها من الشوائب والثقافة الغربية المعاصرة
، مع تمسكه بالمبادئ الأصلية كما رآها ابن تيمية وابن القيم والغزالي. و
ورد على الغربيين الذين لم يفهموا الإسلام وفق أصوله الصحيحة، ونادوا
بحرية البحث والاجتهاد في الدين وحاربوا البدع والخرافات ووفق بين

العقل والدين. وهنا يشير الشيخ محمد عبده: "ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين، الأول هو تحرير الفكر من قيود التقليد وفهم في الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينبوعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري. وهنا نلاحظ اتفاقاً في الجوهر بين مبادئ محمد عبده ومبادئ الحركة الوهابية التي قامت على محاربة البدع وما أدخل على العقيدة من انحرافات وفتح باب الاجتهاد

10.

3.3 تجسيد فكر الإصلاح في حركة الدعاة :

منذ حملة نابليون بونابرت على مصر سنة (1213هـ/ 1798م)، بدأت حركات الإصلاح في العالم الإسلامي تتوالى وتظهر الواحدة عقب الأخرى، ولكنها لم تكن متحدة الأهداف والطرائق، فبعضها اتجهت إلى الإصلاح السياسي، كحركة مدحت باشا (1822-1883م) في تركيا، وبعضها ركزت على الإصلاح التربوي، كحركة أحمد خان (1817-1898 م) بالهند، وبعضها الآخر جمع بين الإصلاح السياسي والتربوي كحركة خير الدين التونسي (1810-1897م) في تونس. غير أن أهم هذه الحركات، وأكثرها تأثيراً في المجتمعات الإسلامية هي الحركة التي مثلها جمال الدين الأفغاني (1838-1897 م)، ومحمد عبده (1849-1905 م)، نظراً لما دعت إليه من أفكار حديثة، تقوم على قطبين أساسيين هما العقلانية في الدين والديمقراطية في الحكم. وبذلك جمعت في دعوتها إلى الإصلاح، والتجديد بين الدين والدنيا. فالحركة الإصلاحية التي قادها الأفغانيو عبده و النهضة الإسلامية وإنما وليدة وعيفجائي

عقوبتين نتيجة عوامل عديدة، أبرزها ظاهرة الاستبداد في الحكم التي انتشرت خطرها وعمضرها في جميع أنحاء الحياة الإسلامية. وكانت البلدان الإسلامية هدفا لهذه النزعة الاستعمارية الأوروبية.¹¹ فكل ما أبدعه العقل الإنساني، في مختلف الحضارات، وما تمثل في الحقائق والقوانين التي مرت والعلوم التي لا تتغير موضوعاتها بتعاقد الحضارات والمعتقدات، أي العلوم الموضوعية المحايدة التي هي (مشترك إنساني عام) متميز عن العلوم

الإنسانية . ومنها الثقافة التي تدخل في الخصوصيات التي تتميز فيها الحضارات . وكانت السمات البارزة لرواد هذا التيار الإصلاحي يجمع بين اهتمامات فكرية عديدة، وبين الانخراط في معارك ثقافية وصحافية على أكثر من جبهة للدفاع عن الأفكار الإصلاحية التجديدية . ومن مدرسة جمال الدين الأفغاني تخرج قادة الإصلاح في العالم الإسلامي في العصر الحديث يتصدر هم عالمان هما: عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده الذي يؤمن بالإصلاح عن طريق التربية.¹²

لكن هذا الإصلاح، لن يتم تحقيقه، إلا إذا وقع التمهيد له، بإصلاح ديني شامل باعتباره المنطلق السائر الإصلاحات الأخرى. كما أشار الفيلسوف الألماني (هيجل) إلى هذه المسألة فقال: " إن أية ثورة سياسية، أو اجتماعية، لا يمكن أن تتحقق دون تغيير الوعي الروحي ، فالعلاقة علاقة لانفصام بين الروح والفرد، والروح والمطلق

وبناء على ذلك فقد ركز تحركة الأفغانيو عبده، في دعوتها الإصلاحية علمبداً أساسيين، هما الإصلاح الديني والإصلاح السياسي".¹³ أما الكواكبي فيؤمن بمقاومة الحكم العثماني، وإقامة خلافة عربية ومقاومة الإنجليز وكل مستعمر. والكواكبي يلتقي مع محمد عبده في وسيلة التربية، ويلتقي مع جمال الدين في هدم المكر الاستبدادي، وفي خصومته للإنجليز. وكتب أحمد أمين بوازن بين الكواكب والأفغاني فقال: " كانت معالجة الأفغاني للمسائل معالجة ثائر، تخرج من فمه الأقوال نار حامية، ومعالجة الكواكبي معالجة طبيب بفحص المرض في هدوء، ويكتب الدواء في أناق الأفغاني غاضب والكواكبي مشفق، فالإطار عام للإصلاح¹⁴ في العصر الحديث باعتبار أنها تتكامل على نحو المبادئ والقيم التي لا يمكن التفريط فيها بأي دعوى من الدعاوي .¹⁵

4 دور الصحوة الإسلامية في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي للأمم: 1.4 الثقافة العربية بين التعريب والتغريب :

الثقافة العربية هي الثقافة الإسلامية المستمدة من الدين الإسلامي (القرآن والسنة) وعندما يدعو لتركيبة ثقافي جديد فمعناه أن يستند بهذه

الثقافة إلى تقانة غير إسلامية وهوية غير هوية الإسلام، بهوية متغيرة ومتحركة لا تستقر على حالتسمى الهوية عند الكثير من الحداثيين إلى الجاهز الماضي المركب (الدين) بدلا لحركة والسيرورة، فالماضي الجاهز غير مقبول عند أدونيس وطه حسين وعلي عبدالرازقي، لأن الماضي فيه الصدق والأمانة والقيمو المثل الثابتة التي تدعو إلى الخير، وبمنظرهم فإن في الإسلام والحداثة على طرفي نقيض فالإسلام دين تصدر عنه سلطة والسلطة تصدر عنها ثقافة، بينما الحداثة ثقافة تصدر عنها سلطة، وهذا تلاعب بالألفاظ و عدم فهم حقيقي. وهنا ينتقد أدونيس أن يظل الحكم للدين، فعنده إذا حكمنا الدين فإننا نسلب ذاتنا ونصبح بلا هوية، أي على حد زعمه إن الدين يسلبنا هويتنا، ويشير بأن ما نعيشه اليوم هو ملاءمة واقعنا مع النص الثابت وغير المتحرك (الجامد)، والنص هو معيارنا ومرجعنا أي أننا نسقط الواقع على الدين من القرآن والسنة ويا ليتنا نتشرف بهذا الدين الذي يراه أدونيس وأمثاله سبب . فما يريده أدونيس هو إسقاط الدين على الواقع، أي أن نغير الدين ليتلاءم مع الواقع، وليس إسقاط الواقع على الدين فما يتوافق مع الدين قبلناه وما يتعارض مع الدين تركناه هو يقول أدونيس إن محمد عابد الجابري يعني العلمانية باسم العقل أي ينفي العقل باسم العقل ويدافع عن اللامعقول (الدين والغيب) ومسألة الذات والهوية .¹⁶

فالصحة الدينية هنا تعني من الناحية العملية أسلمة الناس الذين يدعون أنهم مسلمون أو أولئك الناس الذين يدعوهم الآخرون بهذا الاسم . فنقطة الانطلاق في هذه الأسلمة ، هي الإيمان الراسخ بالله من جانب المسلمين ، والالتزام الدقيق الأصل بقيم الإسلام الدينية والأخلاقية . أما العنصر الثاني للصحة الدينية فيتمثل في الاستعداد للقيام بالواجبات التي يفرضها الوعي بالهدف. فالصحة الدينية لذلك هي نوع من الالتزام الأخلاقي وحالة من القوة الروحية على المادة ، حالة من المثالية الحية العملية يصبح فيها الأشخاص العاديون قادرين على أعمال بطولية تتسم بالشجاعة والتضحية . ومن ثم فالصحة الدينية حالة جديدة للإيمان والإرادة

2.4 صدى الصحوة الدينية في ترسيخ روح التغيير ومحاربة الاستعمار :

أما الحركات السلفية برمتها التي شهدها العالم الإسلامي الحديث والمعاصر تحرص على ارتباطها بالتراث السلفي وتعتبر نفسها امتداداً لها وأن السلفية التاريخية ضرورة لفهم السلفيات الحديثة والمعاصرة . فتيار الإصلاح الذي أنجزه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده يعبر عن الإسهام الحقيقي في روعة الدين الإسلامي وتيار النهضة الإسلامية الحديثة من ثنايا الجهد الواضح والمترايط بين التقدم المدني والمادي الأوروبي الحديث. وبين النهضة الإسلامية ، وهو ما يكمن في أفكار جمال الدين الأفغاني وتطلعه إلى عزة الإسلام والأمم الإسلامية . وأن رفعة عالم الإسلام أو انحطاطه يرجعان إلى مدى قربيه أو بعده عن قواعد الدين وأحكامه فالإسلام من وجهة نظره هو دولة ووطن أو حكومة وأمة وقوة ورحمة وعدالة وثقافة وقانون ومادة وثروة وجهاد ودعوة أي أنه عقيدة صادقة جاءت لتحمل جميع مظاهر العمل التأسيسي السياسي للخروج من أحوال الانحطاط و الفساد والرجوع إلى وسيط الأمة ، وأداتها الأولاد الدولة أو الحكومة، وهنا فإن الشيخ حسن البنا يبدو سلفياً تحدثاً يأخذ بأساليب الحديث حيث يؤكد أن للحاكم دوراً جوهرياً في هذا الأمر مجسداً خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام الراشدين الذين كان لسان حال الواحد منهم يقول إذا حسنت فأعينوني وإذا أسأت فقوموني .¹⁸

3.4 انعكاساتها الوعي الإدراكي للفكر الانساني :

إن الإصلاح حلم بيد أسيايا بالمصطلح المتعارف عليه وإنما بدأ الإصلاح دينياً ولنوياً وعلمياً وثقافياً أيضاً ، والتي تتمثل في نشر أنماها تكتب التراث العربي الإسلامي، وفي إصدار الصحف ولذا كجاء الإصلاح السياسي الذي حملوا هأقطاباً للتهدة . فياثلثاً الأخير من القرن التاسع عشر، مبنياً على ما سبق من حر كات إعلامية بعضها كان لايز النابضة بالحياة، وبعضها الآخر كان قد تضر ضلانت كاسة بسبب الخرو فالتيا المستجدات، منها الاحتلال لفرنسي لمصر (1798م) والإنجليز يلمصر (1882 م). و ضعف الدولة العثمانية الذي جعلها تتراجع عن مقدمة الدول

التي عرفها العالم في القرن السابع عشر الميلادي اتجاهات الإصلاح و سارت حركة الإصلاح، فالإصلاح الاجتماعي بإقامة المؤسسات والجمعيات والنوادي والمدارس والمعاهد التي تخدم الأهداف الاجتماعية، وهو المفهوم الذي استقر منذ بداية حركة الإصلاح وقامت على أساسه الحركات التحريرية الاستقلالية التي انطلقت في بلدان العالم الإسلامي لمقاومة الاحتلال الأوروبي، لأنها كانت تستهدف تحرير الأراضي الإسلامية من الاحتلال مثلما كانت الحركة الإصلاحية التجديدية تستهدف تحرير العقل الإسلامي من الجهل وسوء الفهم ومن تأثيرات عصور الانحطاط و التراجع الحضاري.¹⁹ تتميز النخبة التقليدية بسلطة امتلكتها من العقيدة الدينية وبنائها الاجتماعي الذي تعود أصوله إلى الماضي، فمثلاً رئيس القبيلة يمتلك سلطة قوية على أفراد قبيلته بحكم أصله وسلالتها ووفق النظرية التقليدية للنخب فإن هناك ميلاً لاعتبارها تخباً محافظة، وتسعى الترسخ قيم المحافظة الدينية والاجتماعية، وترتيب علاقات متوازية مع رجال الدين وقيادات المجتمع التقليدية لإبقائها غير بعيدة عن مركز النخبة الحاكمة، ولكن دون أن تصل إلى صلب عملية اتخاذ القرار السياسي، فهذه النخبة الدينية تتسم بعدم القدرة على مواجهة المستجدات وتغير الظروف، وما زال الفكر الديني مقيداً عند بعض النخبة الدينية بأراء مقيدة. مما يدفع المتقنين التقليديين إلى اعتبار أنفسهم فئة قائمة بذاتها، وأنهم فوق ذلك مستقلون عن الطبقات الحاكمة.²⁰

فأبرز شخصيتين مؤثرتين في حركة الإصلاح الإسلامي، وهما: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. وحينما يتحدث "ألبرت حوراني" عن نشاطاته الفكرية والسياسية، وفي التنوع الذي تخلص إليه الدكتور أحمد عبد الرازق يعتبر رشيد رضا بأن ما قام به بحمله رسالة التيار إلى العالم الإسلامي أربعين عاماً، وتوثيق المأثورات، وتوسيع دائرة الاهتمامات بمواكبة لما استجد من المشكلات. ويرى الدكتور محمد حسين أن رشيد رضا قد تبت هذه النظرة عنه حينما اعتبر نفسه تلميذاً وفياً، لأستاذه وشيخه محمد عبده، الذي كان يريد من المنار أن يمهد السبيل لعل الأستاذ زعيم الإصلاح في جميع بلاد الإسلام. و كان يرى مع عظمة الدور الذي قام به

الأفغاني "أنه لو لم يكن له من الأثر إلا الشيخ محمد عبده لكفى". كما أن محمد عبده عزز من هذه النظرة أيضا حينما واعتبر الشيخ مرتضى مطهري في كتابه الحركات الإسلامية في القرن الأخير أن أبطال الإصلاح الإسلامي في حسب تعبيره ثلاثة هم (الأفغاني) و (عبده) و (عبدالرحمن الكواكبي 1902م) ، فمحمد عبده تحول نحو السلفية والانشغال بقضايا العقيدة وبالظواهر والسلوكيات التي توصف بهذا الخطاب بالخرافات والبدع، والابتعاد عن النهج الإصلاحي الذي ينحاز للنهضة والتقدم والتمدد للأمة بأجمعها.²¹

4.4 توسع حركة النهضة الفكرية للأفغاني ومحمد عبده في الفكر العربي :

فجمال الدين الأفغاني الذي دعا إلى اتخاذ الإسلام مرجعية لمشروع النهضة لأن الدين قوام الأمم ، وهو النظام المدني الحقيقي والسبب المفرد لسعادة الإنسان على التمددين من قيم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة والذي حذر من تقليد نموذج «التمدن الغربية» ، لأن فيه لثروة الأمة إلى غير بلادها. محمد عبده الذي قطع غشا لا يمشرو علل النهضة الإسلامية لا يكون الإسلام هو مرجعيتها منطلقه، ذلكو الدين، لمراد الإصلاح في المسلمين، بتهديب النفوس على طلب السعادة من أبوابها، وهو حاضر لديهم، بضرورة العودة إلى القرآن والسنة على النحو الذي نجده لدى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البناء، وسيد قطب وغيرهم. ومن خلال هذه التيارات الفكرية المتصارعة في مصر، ما نزع منها إلى الفكر الغربي والثقافة الأوروبية أو ما نادى بالعودة إلى المبادئ الجوهرية للإسلام، فأسهموا بشكل أو بآخر في تحريك الأفكار النهضة، وبصفة خاصة تلك الأفكار التي تتعلق بطبيعة العلاقة بين الدين والدولة وبين الدين والمجتمع، بالإضافة إلى الأثر الذي تركته على الفكر المصري الحديث إلى ما محمد عبده، وبالتالي فإن فهم الأفكار الفلسفية في تلك الفترة يستند على العودة من جديد إلى

مقابل لقرن التاسع عشر الذي تبدأ به هذا الدراسة
الليبرالية الإنسانية تعود في صورتها الأولى إلى ما قبل القرن التاسع عشر.²²

5 خاتمة:

من خلال قراءة موضوعية للموضوع يمكن الإشارة إلى أن الفكر
الإصلاحية الذي أعطى لدعاة الإصلاح بعدا في الالهام ونظرة في سير
البلاد الإسلامية وفق ما يقتضيه الدين الإسلامي . وهنا يتضح مدى تأثير
أفكار الدعاة في فترة التاريخ الحديث للعالم العربي وقد أحدث ذلك نشوء
نهضة فكرية تسارعت فيه الأفكار الداعية للتغيير . كما استهدفت أفكار
الدعاة السلفية وفق الكتابات المعروفة نشر أفكار تدعو للالتزام التطبيقي في
الرجوع لتعاليم الاسلام الأصيل مع التفتح لدراسة الأوضاع الراهنة
محاولين غلق الطريق على كل حركة تجديد تستهدف إقصاء دور الاسلام
وتطبيق تعاليمه . وهنا برزت شخصيتا جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده
الذان تلازما وتقاربت أفكارهم في خلق نوع من الخلوة في مراجعة الأفكار
التسلسلية , وإعطائها صيغة نموذجية وغربلة الأفكار المهدمة للمجتمع
الإسلامي الأصيل الذي تربي على وحدانية الله والرجوع لسنة رسول الله
في حياته اليومية . خلقت أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده خلق فئة
جديدة من النخب العربية الإسلامية ومن الأئمة الذين نالوا من علومهم في
إنشاء حركات إصلاحية منهم علال الفاسي في المغرب وخير الدين الشاذلي
في تونس عبد الحميد بن باديس في الجزائر والذين اختاروا مجابهة
الاستعمار بقوة التمسك بالجهاد الإسلامي في سبيل تحرير الأمصار
المغربية والعربية .

6. المراجع :

- أحمد محمد جاد عبد الرزاق , فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء
الاسلامي والتحديث الغربي , (و.م.أ:المعهد العالمي للفكر
الاسلامي,1995) ج 1, (د.ط),ص-ص,19- 26 .
- حنان محمد عبد المجيد , التفتت الاجتماعي في الفكر الإسلامية الحديث
دراسة تحليلية. (و.م.أ: المعهد العالمي للفكر الاسلامي, 2011) ط1,
ص,ص,36, 37.

- رائد جميل عكاشة, محمد رشيد رضا وجهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي, ندوة علمية , ط1 (المفروق: جامعة آل البيت, المعهد العالمي للفكر الاسلامي, 2007), ص-ص, 137-143.
- ربيع محمد عبد العزيز تأملات في فلسفة الحياة الانسان في مرمى الزمن . (عمان : دروب للنشر والتوزيع , 2016), ص 35 .
- طه جابر العلواني , إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر. ط 5 , (و.م.أ : المعهد العالمي للفكر الإسلامي, 2009), ص16 .
- محمد الدقس, التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق, (عمان: دار مجدلأوي للنشر .د.ت.م) ص-ص, 24-30.
- محمد نصر مهنا, تجديد الخطاب الديني وإشكالية الخلافة بين السنة والشيعة. ط1, (القاهرة: الدار الثقافية للنشر, 2007), ص 102 .
- محمد سعيد بني عايش, الحداثة من منظور إسلامي , (عمان: دار الكتاب الثقافي, 2016), ص, ص, 175, 176
- عبد العزيز بن عثمان التويجري, العالم الإسلامي في عصر العولمة . ط1 , (عمان: دار اليازوري العلمية, 2017), ص, ص, 220, 221.
- عبد الكريم بكار , وعد الحداثي, الصحة الإسلامية صحة من أجل الصحة . ط1, (القاهرة: 2011 دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة) ص, ص, 14, 15..
- عليان الجالودي , التحولات الفكرية في العالم الإسلامي أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري. (عمان: المعهد العالمي للفكر الاسلامي, 2014), ص 503.
- علي عزت بيجوفيتش, الإعلان الاسلامي, تر, محمد يوسف عدس, ط1 , (القاهرة : دار الشروق, 1999), ص 122.
- فتحي ملكاوي , الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية , ط1 (و.م.أ : فرجينيا , المعهد العالي للفكر الاسلامي, 2011), ص-ص, 51 - 60.

- وليدة حادي، الإعلام والنخبة المثقفة في عصر الميديا الجديدة .
(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991)، ص، ص، 66، 67.
7. الهوامش :

¹ عبد الكريم بكار ، وعد الحداثي، الصحوه الاسلاميه صحوه من أجل الصحوه ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة، ط 1، 2011، ص، ص، 14، 15.

² عبد الكريم بكار ، نفسه، ص، ص، 19، 20 .
³ يمكن وصف ما يجري في الوطن العربي من فكري يقول الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانث) الذي اشتهر في أواخر القرن الثامن عشر: "الصحوه هي حدوث تغير جذري في العلاقة بين الإرادة والسلطة والعقلانية". وفي ضوء الظروف الحياتية التي عاشها كانت، فإن رأيه هذا جاء ليعبر عن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها دول أوروبا حينئذ، والتي اتصفت بشيوع الارتباك والتخبط والتحول المستمرة وفقدان بوصلة الإبحار في عين لقد كانت أوروبا في زمن كانت تمر بفترة انتقال حضارية من عصر الزراعة في عصر الصناعة، ومن الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى النهضة، ومن الفقر إلى الرخاء الصناعي النسبي، وذلك بعد أن كانت قد نجحت في فصل الدين عن الدولة، والتحرر من مما نادى به الكنيسة وفكرها. وهذا يعني، تبعاً لرؤية كانت أن الصحوه هي خروج المجتمع على الفكرية، وأوامر السلطة الدينية. للمزيد انظر : ربيع محمد عبد العزيز، تأملات في فلسفة الحياة الانسان في مرمى الزمن ، دروب للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، 2016، ص، ص، 35 .

⁴ محمد سعيد بنيعايش، الحداثه من منظور إسلامي، دار الكتاب الثقافي، عمان، (د.ط)، 2016، ص، ص، 175، 176 .

⁵ عبد الكريم بكار ، مرجع سابق، ص، ص، 16، 17 .

⁶ عبد الكريم بكار ، مرجع سابق، ص، ص، 17، 18 .

⁷ طه جابر العلواني ، إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (و.م.أ) ، ط 5، 2009، ص 16 .

⁸ محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق: دار مجدلوي للنشر ، عمان، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص، ص، 24-30 .

⁹ حنان محمد عبد المجيد، التفتت لاجتماعي في الفكر الإسلامي، لامية الحديث

دراسة تحليلية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، و.م.أ، ط 1، 2011، ص، ص، 36-37 .

¹⁰ عليان الجالودي ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 2014، (د.ط)، ص 503.

مجلة مدارات تاريخية